العرب
الإثنين 2020/02/03
السنة 42 العدد 11606

فيلم «الموجة».. مغامرة لعبور الزمن في إطار كوميدي

رحلة مرحة لمحام وسط عالم غريب يسوده العنف والصراع بين الشخصيات

تحدي الأزمنة الثلاثة والانتقال من الحاضر إلى المستقبل أو الماضي لطالما حملا طابع المغامرة والتشويق ومتعة الاكتشاف، وهو ما قدّمته سينما الخيال العلمي من خلال العديد من الأفلام، وآخرها فيلم "الموجة" للمخرج غيل كلابن، لكن بمعالجة كوميدية مرحة.

رحلة غريبة بين ثلاثة أزمنة

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

تغيير الأقدار والمصائر بالانتقال الخارق عبر الزمن كان يرتبط حينا بالبطولة الفردية القائمة على المغامرة، وأيضا بالعلم ونظرياته، وفي كل ذلك بقي تحدي الزمن كما هو، بينما الإنسان العالق بين الأزمنة لا تتغير الكثير من الأشياء من حوله. ومن هناك بقي موضوع عبور الزمن هاجسا إنسانيا وتحديا طبيعيا وموضوعا فلسفيا أيضا.

وفي فيلم "الموجة" للمخرج غيل كلابن ثمة معالجة أخرى مختلفة عمّا ذكرناه آنفا، إنها معالجة ذات طابع كوميدي بالدرجة الأولى والشخصية الرئيسية ليس في نيتها خوض أيّ مغامرة، لكن الأقدار قادتها إلى الدخول في ذلك العالم الغريب.

عبور الزمن بقي هاجسا إنسانيا وتحديا طبيعيا، وهو ما يطرحه فيلم «الموجة» ضمن إطار كوميدي ساخر

وتبرز هنا شخصية المحامي فرانك (الممثل جوستن لونك) وهو متخصّص باسترجاع الديون من العاجزين عن السداد، وقد جمع ما يكفي من أموال بإلقاء العشرات منهم في السجون بسبب إفلاسهم أو عجزهم عن سداد ديون وقروض في ذمتهم.

يعيش فرانك حياة مرفهة مع زوجته شيريل (الممثلة سارا مينيتش) وهي الأخرى سليلة عائلة ثرية. يذهب فرانك على مضض بصحبة صديقه جيف (الممثل دونالد فيسون) إلى أحد النوادي الليلية، وهناك ستنقلب حياته رأسا على عقب.

لا يعرف المحامي بالضبط ماذا حصل؟ ولا تسعفه ذاكرته ماذا شرب أو تعاطى؟ سوى أنه صار يتنقل فجأة بين الأزمنة والتواريخ في مشاهد ومواقف متلاحقة لا تخلو من الكوميديا.

فها هو عائد إلى منزله وقد تم تنويمه وأُخذ ما في رصيده وسرقت محفظته ليجد نفسه في وسط اجتماع لمجلس إدارة الشركة التي يعمل فيها، ثم ينتقل فجأة إلى عالم خيالي مليء بالهلوسة ليكتشف أن تيريزا (الممثلة شيلا فاند) الفتاة التي كانت بصحبته قد اختفت هي أيضا، ولهذا سوف يبدأ بالبحث عنها.

أما في داخل شركة المحاماة، فهو مطالب بتقديم عرض لأعماله بغرض التقييم، لكنه بين فترة وأخرى ينتقل إلى أزمنة متشعبة خيالية وبعضها سوريالي وهو عاجز عن الإلمام به.

هذا النسيج البصري الذي تم تقديمه في هذا الفيلم أريد به تحطيم الحواجز الزمانية والتمرّد عليها، وفي نفس الوقت تقديم شخصية كوميدية تجعل من عبور الزمن مجرد متعة وتسلية.

وعلى الجانب الآخر وبموازاة الخط السردي الكوميدي، كانت هنالك نظرية المؤامرة التي كان يقودها مديره المباشر ربما لغرض إفشاله وقبل ذلك إحراجه والسخرية منه.

لكن السؤال هو، ماذا لو كان الذي أجبر فرانك على أخذ جرعة من مادة كيمياوية تسبب الهلوسة، هو مديره المباشر المتنكر الذي يستدرجه ويضعه أمام تحدّ لا يستطيع التخلّص منه.

في وسط الكوميديا كان على فرانك خوض المغامرة إلى أقصاها، الذهاب إلى مصدر المخدرات وحبوب الهلوسة في النادي الليلي الذي سقط فيه مغشيا عليه أو منقطعا عن العالم الخارجي، لكنه سوف يكتشف شخصية أخرى ويقع بينهما صراع يفضي إلى استعداد فرانك لدفع أموال لذلك الشخص.

المفارقات الكوميدية في هذا الفيلم سوف تتشعب بنا إلى مسارات عدة، فيما الشخصيات تدخل في أجواء صراعات درامية ومفارقات ومواقف غير مستقرة، وكل ذلك في إطار البحث عن حقيقة ما جرى في تلك الليلة، ولماذا لا يستطيع فرانك جمع شتات نفسه لكي يصل إلى الحقيقة.

ربما بدا ظاهريا أن تلك الكوميديا سوف تستحوذ على قصة الفيلم، لكن تلك القصة تتشعب إلى الجريمة والعنف من خلال إخفاء تيريزا، وهي نقطة مفصلية تؤرق فرانك لأنه من خلالها قد يتمكّن من معرفة حقيقة ما جرى له في تلك الليلة.

وفي المقابل هنالك الزوجة التي بعد أن تكتشف حقيقة انخراط زوجها في سهرات بناد ليلي خسر على إثرها أمواله تقرّر أن تهجره من دون أن تنفعه توسلاته لها لثنيها عمّا هي عازمة عليه.

تبدو شخصية فرانك أكثر طرافة وهو يعيش الوحدة، لكنه ينجذب إلى تيريزا لا لسبب غير العثور عليها حية ترزق ليخوض معها ومع صديقه جيف صراعا جديدا.

الكوميديا التي سادت على أغلب المشاهد جعلتنا أمام تداخل لافت للنظر ما بين ما هو خيالي وما هو كوميدي، إذ غالبا ما تتم معالجة عملية الانتقال عبر الزمن في إطار جامد مفض إلى العنف والصراعات بين شخصيات تسعى إلى التنقل ما بين الأزمنة الثلاثة، لكننا هنا لا نلمس ذلك، بل بالعكس هناك مساحة واسعة من السخرية في مقاربة العديد من الظواهر.

أدّى جوستن لونك واحدا من الأدوار المتميزة، لاسيما وأن أغلب مشاهد الفيلم تقع على عاتقه، وعليه أن يقنعنا بجدوى ذلك كله، جدوى تلك المغامرة وأبعادها ومن تداخل فيها وكيف تم الزجّ به في تلك الانتقالات الزمانية الغريبة. لكن لا بد لتلك الكوميديا من نهاية تراجيدية، فكيف إذا ما شهدنا مقتل فرانك في حادث دهس، ليصنع من خلاله مخرج الفيلم غيل كلابن نهاية مأساوية؟ واقعيا، نحن نشاهد ذلك الموقف، لكنه لن يغير كثيرا من تلك الكثافة الكوميدية التي أشبع بها هذا الفيلم.

فرنسا تدشّن متحف الرسّام المعماري جان كوتي

وفاء لروح والده الفنان جان كوتي، تولى شارل كوتي تأسيس متحف بمدينة ليون يحمل اسمه. وكان من الطبيعي أن يتمّ تدشينه مؤخرا بمعرض فني أقيم للفنان الراحل الذي أفنى عمره في تخليد معالم عاصمة بلاد الغول.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

ينحدر الفنان الفرنسي جان كوتي (1907 – 1991) من أسرة بسيطة، كانت موزّعة بين الفلاحة وحظائر البناء، ما ولّد لديه رغبة في رسم المعالم التي كانت تجلل محيطه.

فبعد بدايات محتشمة، التحق بمدرسة الهندسة في ليون، حيث حصل على الجائزة الأولى في علم الآثار، قبل أن ينضم إلى ورشة المهندس توني غارنيي، الذي نصحه باختيار الرسم الفني، فصار كوتي يزاوج بين دراسة الهندسة في المدرسة الجهوية للهندسة بليون، ودراسة الفنون بقسم الهندسة التابع لمعهد الفنون الجميلة بباريس، إلى أن حصل على دبلوم في الهندسة المعمارية عام 1933، دون أن يتوقف عن الرسم. بل واصل المزاوجة بين الفنين حتى صار يعرف بالرسّام البَنّاء.

ومنذ ذلك التاريخ، بدأ يشارك في المعارض الفنية مثل صالون المستقلين بباريس وصالون الخريف، قبل أن يلتحق بالمدارس المسيحية بليون حيث درس فن البورتريه. وفي عام 1950، حاز الجائزة الكبرى للنقد التي سبقه إليها برنار بوفي، وكانت بداية سلسلة من الجوائز والأوسمة جللت مسيرته.

تتميز لوحات جان كوتي في عمومها بكبر حجمها، وهذا الميل إلى الأحجام الكبيرة متأتّ حسب مؤرخة الفن ليديا هاربمورغ من تكوينه في الهندسة المعمارية، الذي أثر في طريقته في الرسم، إذ تبدو منظّمة ومهيكلة بصفة هندسية، ما يجعها متجذرة في واقعها. وقد دأب كوتي على رسم ما يبصره من معالم أحبها وتعلق بها، من كنائس وجسور تعتلي نهري الصون والرون اللذين يشقان مدينة ليون، إلى جانب أحيائها القديمة خاصة، وحتى ما ينتأ فيها من مشاريع كلوحة "بداية أشغال مترو الأنفاق" عام 1972.

ويقيم "متحف جان كوتي" بمدينة ليون الذي أسّسه ابنه شارل كوتي تخليدا لاسم والده، معرضا يضم مئة وخمسين عملا فنيا، ما بين لوحات زيتية ورسوم هي حصيلة ما أبدعه كوتي طيلة ستين عاما من مسيرته الفنية.

> لوحات كوتي موجهة إلى الخارج ترقب ما يحدث فيه، لكنها تهتم بالدواخل، تبحث داخل كل فرد عن الكوني الذي يوحد الإنسانية

ويُفتتح بأعماله الأولى التي أنجزها خلال ثلاثينات القرن الماضي، وتمثل مشاهد من محيطه، كالصيد على ضفاف نهر الصُّون وجزيرة بارب، ومحطة فيز للسكك الحديدية.. ويتواصل بالثيمات الكبرى التي اشتغل عليها كوتي، بدءا بالبورتريهات، ولوحات طبيعة ميتة، وحظائر البناء، ومشاهد من مدينة ليون، وصولا إلى قاعة كبرى خصّصت للرحلات والمناظر الطبيعية.

ونكتشف في قاعة أخرى تشكيلا جزئيا لمرسم الفنان، وفيه مختلف الأدوات التي كانت بحوزته. أما القاعة الأخيرة، فقد جعلت للرسوم، وتحتوي على مجموعة من أعمال البَستل، ورسوم بالفحم، وأخرى بالحبر، إلى جانب دفاتر تخطيطات. وقد ساهمت بساطة المكان وصفاؤه في إبراز الأعمال المعروضة التي تتّسم في الغالب بكثافة الألوان والمواد.

وقبل وفاته، قال لابنه شارل "سيكون أمرا جيدا لو تؤسّس متحفا يضم أعمالي"، وها أن الابن يحقق أمنية والده، بعد ستة وعشرين عاما على رحيله، بإنشاء متحف يحمل اسمه، تتولى إدارته ابنته مريم كوتي، ويضم كافة أعماله، فكان تدشينه حدثا هاما في ليون، عاصمة الغول. وقد اختار شارل كوتي أن يكون موقعه في جزيرة بارب بالدائرة التاسعة، على مسافة أمتار من بيت الأسرة ومرسم الفنان الراحل.

هذا الفنان الذي طبع القرن العشرين بلوحاته التصويرية في مرحلة كانت التجريدية خلالها هي الطاغية، يكشف لزوار المعرض عن وجهه الآخر. فقد اشتهر بكنائسه وحظائره ومناظره الطبيعية، وظل الجانب الآخر من فنه غير معروف إلا لبعض الخاصة، ونعني به ولعه برسم بورتريهات لفئات متعددة تضم الأقرباء كأبيه جان فرنسوا، وأمه أوجيني، وأخته هنرييت، وأخيه جولين، وابنه شارل الذي يرجع له الفضل في تشييد هذا المتحف، متحف جان كوتي؛ مثلما تضم الناس العاديين من عُبّاد وعابرين ومهمّشين.

ويذكر شارل كوتي أن أباه كان يقول "لا يمكن أن يكون الإنسان فنانا إذا لم يحسن رسم البورتريه. البورتريه هو قمة الفن، وهو أصعب شيء فيه". في تلك اللوحات، يحرص كوتي على تصوير الحميمية أكثر من تمثل المظهر الخارجي والتشبه به، فنظرته موجهة لا محالة إلى الخارج ترقب ما يحدث فيه، ولكنها تهتم بالدواخل، لأنه يبحث داخل كل فرد عن الكوني الذي يوحد الإنسانية.

ومن ضمن ما قاله كوتي عن فن البورتريه "يلزمني اعتياد لمدة طويلة، وولوج عميق قبل الإقدام على دراسة بورتريه؛ ينبغي أن أعيش الشخصية، أقرأ وجهها وأحسّ أن وراء كل ملمح، وكل انحناءة أو اعوجاج، يختفي جوهر حقيقتها ومطلقها.. أعود إلى الطبيعة وحدها، أسائلها بلا انقطاع، وأسعى للنفاذ إليها، لأستخلص من الوجه ما يميزها، ويضفي عليها طبعها. أنا أبحث عن الروح خلف النظرة أو البسمة".

لم يسع جان كوتي إلى المفاضلة بين الواقعية والتعبيرية أو الروحانية، ولا بين الرسم والدهن الزيتي، بل كانت غايته أن يكون شاهدا على واقعه وعلى عصره، ويلتحم بمدينته التي ولد ومات فيها، ليخلّد معالمها ووجوه من سكنوها، من أقرباء وأغراب، من الجنسين، ويسم كل ذلك بميسم إنسانيته العميقة.

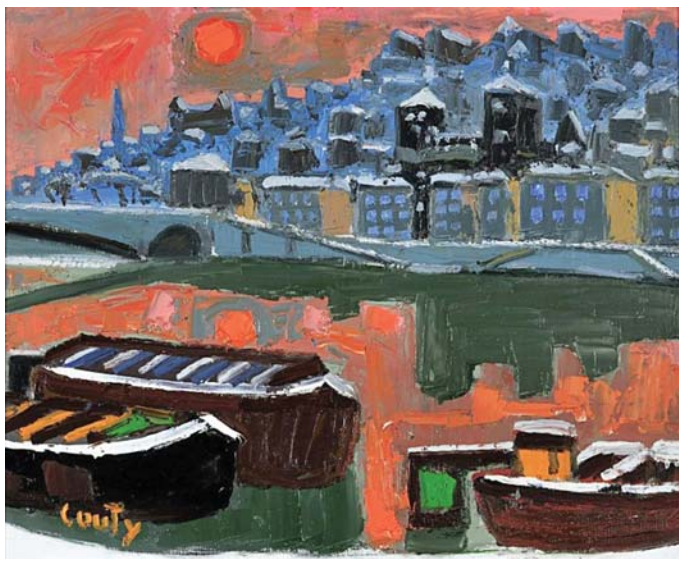

كثافة في اللون والمادة (من أعمال الفنان كوتي)

إنساني في حريته

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كان مفهوم الفن الملتزم كذبة مرّرتها الأحزاب اليسارية من أجل إشاعة أنواع فنية سطحية، فقيرة وساذجة من الفن، هي ليست نتاجا طبيعيا لتطوّر الفنون عبر التاريخ، بقدر ما هي حالة من الامتثال لطريقة تفكير شعبوية، يُراد من خلالها تحريك الجماهير في اتجاه هدف بعينه من أجل إخضاعها. بذلك المعنى كان الفن وسيلة لغسل العقول والاستعباد.

كانت غاية الفن الملتزم تكمن في تكريس القطيعة والانتماء الحزبي. شيء له علاقة بالتدجين ووضع الأمور تحت السيطرة. لقد تم استعمال الفن لغايات سياسية ضيقة ومباشرة تحت شعار الفن الملتزم. وهو ما يتناقض كليا مع مبدأ الحرية الذي هو جوهر الممارسة الفنية منذ البدء.

حرية الموهبة وحرية الخيال وهما منطلقان للوصول إلى فن يخلص إلى إنسانية الفرد وهو يسعى إلى تغيير العالم والحياة معا عن طريق الجمال. ذلك يعني أن الفن في الأساس كان ولا يزال ملتزما بإنسانيته من خلال حرصه على أن يكون حرا في مواجهة كل شرط أو قيد يقف في طريقه.

أما حين تم وضع "الفهم" المباشر والساذج والسطحي شرطا للقبول بالفن، لكونه فنا ملتزما فإن ذلك يعني بالضرورة تشويه البعد الإنساني للفن وإنتاج أعمال تصلح للاستهلاك مرة واحدة ثم تُنسى، مثلها في ذلك مثل اللافتات التي تُرفع في المسيرات.

كان "الفن الملتزم" كما تبنّته الأحزاب اليسارية سببا في ضياع الكثير من المواهب الفنية التي شاء لها سوء الحظ أن يؤمن أصحابها بمبادئ سياسية قدّرت أن الإنساني في الفن إنما يكمن في الاقتراب الفج من حياة الناس البسطاء والتعبير المباشر عن حاجاتهم المعيشية.

وبالرغم من غياب الأنظمة المتشدّدة عقائديا، فهناك اليوم مَن لا يزال يتشبّث بمقولات الفن الملتزم في مواجهة حرية الفن معتبرا أن الأزمة التي تعاني منها الفنون في عصرنا، إنما تصدر عن الهوة التي تفصل بين الفنان والمجتمع. وهو كلام يُراد منه إعادة تدجين الفن والسيطرة عليه.

الفن أساسه الحرية (لوحة للفنان أنس سلامة)